

الأمثل في تفسير كتاب الأ المنزل

[24] مُنكرو المعاد، ففي البداية تحكي الآيات على لسان المنكرين استفهامهم: (قالوا
ءِ إِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفًا فَاَءِ إِزَّٰنًا لِمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا) (1). يقول هؤلاء: هل يُمكن
أن تجتمع هَذِهِ العظام المتلاشية الدائرة المتناثرة في كل مكان؟ وهل يمكن أن تُعَاد
لها الحياة مرَّة أُخْرَى؟! ثمَّ أَيْنَ هَذِهِ العظام النخرة المتناثرة في كل حذب وَصَوْبٍ مِنْ
هَذَا الْإِنْسَانِ الْحَيِّ الْقَوِيِّ الْعَاقِلِ؟ إِنََّّ التَّعْبِيرَ الْقِرْآنِيَّ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ يَدُلُّ عَلَى
أَنَّ الرَّسُولَ (صلى الله عليه وآله وسلم) كَانَ يَبِينُ فِي دَعْوَتِهِ (المعاد الجسماني) بعد موت
الإنسان، إِذْ لَوْ كَانَ الْكَلَامُ عَنِ مَعَادِ الرُّوحِ فَقَطْ، لَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ سَبَبٍ لِإِيرَادِ مِثْلِ هَذِهِ
الِإِشْكَالَاتِ مِنْ قَبْلِ الْمَعَارِضِيِّينَ وَالْمُنْكَرِيِّينَ. الْقِرْآنُ فِي إِجَابَتِهِ عَلَى هَؤُلَاءِ يَبِينُ أَنَّ قَضِيَّةَ
بَعثِ عِظَامِ الْإِنْسَانِ سَهْلَةٌ وَمُمْكِنَةٌ، بَلْ وَأَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ، فَحَتَّى لَوْ كُنْتُمْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا: (قل
كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا) وَحَتَّى لَوْ كُنْتُمْ أَشَدَّ مِنَ الْحِجْرِ وَالْحَدِيدِ وَأَبْعَدَ مِنْهُمَا مِنَ الْحَيَاةِ:
(أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ) فَإِنَّ الْبَعثَ سَيَكُونُ مَصِيرِكُمْ. مِنْ الْوَاضِحِ أَنَّ الْعِظَامَ بَعْدَ
أَنْ تَنْدَثِرَ وَتَتَلَشَّى تَتَحَوَّلُ إِلَى تُرَابٍ، وَالتُّرَابُ فِيهِ دَائِمًا آثَارَ الْحَيَاةِ، إِذْ النَّبَاتَاتُ
تَنْمُو فِي التُّرْبَةِ، وَالْأَحْيَاءُ تَنْمُو فِي التُّرَابِ، وَأَصْلُ خَلْقِهِ الْإِنْسَانُ هِيَ مِنَ التُّرَابِ، وَهَذَا كَلَامٌ
مُخْتَصِرٌ عَلَى أَنَّ التُّرَابَ هُوَ أَسَاسُ الْحَيَاةِ. أَمَّا الْحِجَارَةُ أَوْ الْحَدِيدُ أَوْ مَا هُوَ أَكْبَرُ مِنْهُمَا
تَحَدَّثُ بِهِ الْقِرْآنُ مُنْكَرِيَّ الْمَعَادِ، فَإِنَّ كُلَّ هَذِهِ أُمُورٍ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْحَيَاةِ بُونَ
شَاسِعٍ، إِذْ لَا يُمْكِنُ لِلنَّبَاتِ مِثْلًا أَنْ يَنْبَتَ فِي الْحَدِيدِ أَوْ الصُّحُورِ أَمَّا الْقِرْآنُ فَيَبِينُ أَنَّ لَافْرَقَ
عِنْدَ الْخَالِقِ جَلَّ وَعَلَا، مِنْ أَيِّ مَادَّةٍ كُنْتُمْ، إِذْ أَنْ عَوَدْتُمْ إِلَى الْحَيَاةِ بَعْدَ الْمَوْتِ تَبْقَى
مُمْكِنَةٌ، بَلْ وَهِيَ الْمَصِيرُ الَّذِي لَا يَدُّ وَأَنْ تَنْتَهُونَ إِلَيْهِ. _____ 1 -
"رُفَاتٌ" عَلَى وَزْنِ "كُرَاتٌ" وَهُوَ مَعْنَى يَطْلُقُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيمٍ وَمُتَلَشِّشٍ.